

حِفَاظاً عَلَى الوَحْدَةِ الدِّينِيَّةِ وَالأُلْفَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ فِي تُونِسَ

الاحْتِفَالُ بِالمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ «احْتِفَاءٌ وَتَذْكِيرٌ»

بِقَلَمِ الشَّيْخِ العَلَّامَةِ

مُحَمَّدٍ الشَّاذِلِيِّ النَّيْفَر

العَمِيدِ السَّابِقِ لِكُلِّيَّةِ الزَّيْتُونَةِ لِلشَّرِيعَةِ وَأُصُولِ الدِّينِ بتونس

(1908 ـ 1997م)

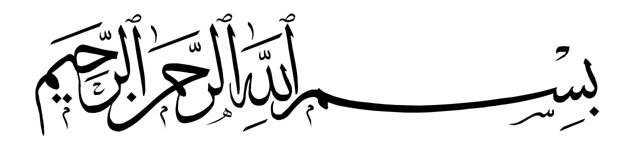
رحمه الله

باعتناء وتعليق

نزار حمّادي



الجمعية التونسية للعلوم الشرعية


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّـهِ الَّذِي شَرَّفَ الأَنَامَ بِصَاحِبِ الـمَقَامِ الأَعْلَى، وَكَمَّلَ الوُجُودَ بِأَكْمَلِ مَوْلُودٍ حَوَى شَرَفًا وَفَضْلًا، حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ آمِنَةُ فَأَصْبَحَتْ بِهِ آمِنَةً وَلَمْ تَجِدْ لِـحَمْلِهِ ثِقْلًا، وَوَضَعَتْهُ ﷺ مَخْتُونًا مَسْرُوراً فِي خِلَعِ الحُسْنِ مُبَجَّلًا، بِوَجْهٍ لَا يُرَى أَحْسَنُ مِنْهُ وَلَا أَحْلَى، بِنُورٍ كَالشَّمْسِ بَلْ أَضْوَءَ وَأَجْلَى، وَخَرَّتْ لِـهَيْبَتِهِ الأَصْنَامُ خُضُوعاً وَذُلًّا، وَارْتَجَّ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ جَالِسٌ بِهِ فَعُدِمَ القَوْمُ نُطْقًا وَعَقْلًا، وَخَمِدَتْ نَارُ فَارِسٍ وَلَمْ تَخْمُدْ قَبْلَهُ أَصْلًا، وَزُخْرِفَتِ الجِنَانُ يَوْمَ مَوْلِدِهِ وَنَادَتْ: أَهْلًا وَسَهْلًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً تَمْلَأُ الخَافِقَيْنِ نُوراً وَفَضْلًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخَلِيلُهُ وَحَبِيبُهُ الَّذِي لَمْ تَزَلْ خَصَائِصُهُ وَمُعْجِزَاتُهُ عَلَى مَمَرِّ الأَوْقَاتِ تُتْلَى، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ الَّذِينَ بَذَلُوا فِي حُبِّهِ رُوحًا وَأَهْلًا.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الكَلَامِ كَلَامُ اللَّـهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّـهِ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مَعْرِضِ امْتِنَانِهِ عَلَى

الـمُؤْمِنِينَ بِإِيجَادِ رَسُولِهِ الصَّادِقِ الأَمِينِ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾ أَيُّهَا الـمُؤْمِنُونَ ﴿رَسُولٌ﴾ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ مِنْ جِنْسِكِمْ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أَيْ: صَعْبٌ عَلَيْهِ مَشَقَّتُكُمْ وَلِقَاؤُكُمُ الـمَكْرُوهَ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أَيْ: عَلَى إِيمَانِكُمْ، يَجْتَهِدُ فِي أَنْ تُؤْمِنُوا وَتَهْتَدُوا ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾[1] أَيْ: شَدِيدُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ، يُرِيدُ لَهُمُ الخَيْرَ وَالفَلَاحَ.

فحقٌّ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَحْتَفِلَ بِظُهُورِ هَذَا النَّبِيِّ الشَّرِيفِ الـمُخْبَرِ عَنْ قَدْرِهِ الـمُنِيفِ، وَلِـهَذَا لَمْ يَزَلْ أَهْلُ الإِيمَانِ يَحْتَفِلُونَ بِشَهْرِ مَوْلِدِهِ بِفِعْلِ الخَيْرَاتِ، وَالتَّصَدُّقِ بِأَنْوَاعِ الصَّدَقَاتِ، وَإِظْهَارِ السُّرُورِ فِيهِ وَزِيَادَةِ الـمَبَرَّاتِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ الاحْتِفَالَ الصَّافِي الَّذِي لَا تَشُوبُهُ شَائِبَةُ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ مِنْ عَلَامَاتِ شُكْرِ اللهِ ﷻ، وَحُبِّ نَبِيِّهِ الأَكْرَمِ ﷺ وَتَعْظِيمِهِ، كَمَا أَنَّ إِقَامَتَهُ جَالِبَةٌ لِلْخَيْرِ العَمِيمِ، وَمُبَشِّرَةٌ بِالثَّوَابِ الجَزِيلِ، وَقَدْ قَالَ إِمَامُ القُرَّاءِ وَشَمْسُ الدِّينِ الجَزَرِيُّ (ت 823هـ): «فَإِذَا كَانَ أَبُو لَهَبٍ

---

(1) [التوبة: ١٢٨]

الكَافِرُ الَّذِي نَزَلَ القُرْآنُ بِذَمِّهِ جُوزِيَ فِي النَّارِ بِفَرَحِهِ بِمَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا حَالُ الـمُسْلِمِ الـمُوَحِّدِ فِي أُمَّةِ النَّبِيِّ يُسَرُّ بِمَوْلِدِهِ وَيَبْذُلُ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ قُدْرَتُهُ فِي مَحَبَّتِهِ ﷺ، لَعَمْرِي إِنَّمَا يَكُونُ جَزَاؤُهُ مِنَ اللَّـهِ الكَرِيمِ أَنْ يُدْخِلَهُ بِفَضْلِهِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ [1].

وَلَقِد اتَّفَقَ جُمْهُورُ فُقَهَاءِ وَعُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَلَى جَوَازِ الاحْتِفَالِ بِمَوْلِدِ خَيْرِ الأَنْبِيَاءِ ﷺ إِذَا قَصَدَ الـمُحْتَفِلُونَ جَمْعَ الصَّالِحِينَ، وَالصَّلَاةَ عَلَى أَشْرَفِ الـمُرْسَلِينَ، وَإِطْعَامَ الطَّعَامِ لِلْفُقَرَاءِ وَالـمَسَاكِينِ، وَإِنْشَادَ الـمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ وَمَا يُشَوِّقُ إِلَى الآخِرَةِ، وَتَحْرِيكَ القُلُوبِ لِفِعْلِ الخَيْرَاتِ، كَمَا بَيَّنُوا عَدَمَ جَوَازِ جَمْعِ الرَّعَاعِ وَالاخْتِلَاطِ وَإِنْشَادِ مَا يُثِيرُ الشَّهْوَةَ مِنَ العِشْقِيَّاتِ وَالرَّقْصِ وَخَلْعِ الثِّيَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الـمُنْكَرَاتِ.

لَكِنْ ظَهَرَ فِي الـمُسْلِمِينَ مَنْ يُحَرِّمُ الاحْتِفَالَ بِالـمَوْلِدِ الشَّرِيفِ مُطْلَقًا، وَيَعْتَبِرُهُ مِنَ البِدَعِ الـمُنْكَرَاتِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا فِي الشَّرْعِ العَزِيزِ، فَتَصَدَّى لَـهُمْ الأَئِمَّةُ الأَعْلَامُ، وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ

(1) عرف التعريف بالمولد الشريف، للإمام الحافظ المقرئ أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ص 22) بعناية محمد أبي الخير الملقي، طبعة دار الحديث الكتانية.

وَمَكَانٍ، وَبَيَّنُوا مَا فِي شُبُهَاتِهِمْ مِنْ مُغَالَطَاتٍ، وَأَقَامُوا الأَدِلَّةَ الشَّرْعِيَّةَ عَلَى أَنَّ الاحْتِفَالَ الـمَذْكُورَ مِنْ أَبْوَابِ القُرُبَاتِ، وَإِنْ سُنَّ بَعْدَ القُرُونِ الـمُفَضَّلَاتِ، فَهُوَ مُنْدَرِجٌ ضِمْنَ قَوْلِهِ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**»[1].

وَمِنَ العُلَمَاءِ الفُضَلَاءِ الَّذِينَ بَيَّنُوا بَيَانًا شَافِيًا حُكْمَ الاحْتِفَالِ بِالـمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ: الفَقِيهُ البَحَّاثَةُ الأَدِيبُ، العَمِيدُ السَّابِقُ لِكُلِّيَّةِ الزَّيْتُونَةِ لِلشَّرِيعَةِ وَأُصُولِ الدِّينِ: الشَّيْخُ **مُحَمَّدٌ الشَّاذِلِي النَّيْفَر** رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فَقَدْ كَتَبَ فِي ذَلِكَ مَقَالًا نَفِيسًا، وَنَشَرَهُ فِي صَحِيفَةِ «الرَّأْيِ العَامِّ» الَّتِي صَدَرَتْ فِي تُونِس بِتَارِيخ 19/ أوت/ 1994م، وَهُوَ مَوْجُودٌ الآنَ بِمَكْتَبَةِ «آلِ النَّيْفَر»، شَكَرَ اللهُ القَائِمِينَ عَلَيْهَا، وَعَلَى رَأْسِهِمْ السَّيِّدُ الفَاضِلُ النَّبِيلُ: **الطَّاهِرُ النَّيْفَر** حَفِظَهُ اللهُ، وَهُوَ ابْنُ الشَّيْخِ الشَّاذِلِي رَحِمَهُ اللهُ.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

وَنَظَرًا لِأَهَمِّيَّةِ هَذَا الـمَقَالِ النَّفِيسِ فِي إِظْهَارِ الحَقَائِقِ، خَصُوصاً وَأَنَّهُ صَادِرٌ مِنْ قَلَمِ أَحَدِ أَعْلَامِ الزَّيْتُونَةِ الـمُبَارَكَة، اعْتَزَمْتُ العِنَايَةَ بِهِ وَنَشْرَهُ لِيَكُونَ نِبْرَاساً لِلْمُحْتَفِلِينَ بِمَوْلِدِ سَيِّدِنَا وَحَبِيبِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَسِرَاجاً تُبَدَّدُ بِهِ ظُلُمَاتُ وَشُبُهَاتُ النَّاهِينَ عَنْ هَذَا الخَيْرِ العَظِيمِ، لِكَيْ لَا يَغْتَرَّ بِهَا عَوَامُّ الـمُسْلِمِينَ فَيَضِلُّونُ بِغَيْرِ عِلْمٍ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَاللهُ الهَادِي إِلَى الصِّرَاطِ الـمُسْتَقِيمِ.

كتبه: نزار حمادي



الاحتفال بالمولد النبوي

احتفاء وتذكير

صحيفة الرأي العام 19 أوت 1994 العدد 48

* بقلم الشاذلي النيفر

اتصف المسلمون من صحابة وغيرهم من السلف الصالح، بتعظيم مقام النبوة بالمحبة وانواع التعظيم وذلك طبعا بعد محبة الخالق تعالى وقد ذكر التاريخ من تعظيمهم لمقام النبوة ما يدل على شدة اعظامهم وحبهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وهناك نتف تدل على ان الصحابة لا شيء عندهم افضل من النبي صلى الله عليه وسلم بعد تعظيم الخالق، منها ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه سئل كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا، ومن الماء البارد على الضما.

أنموذج من المقال المنشور في صحيفة الرأي العام

بتاريخ 19/**أوت** 1994**م**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اتَّصَفَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ صَحَابَةٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ بِتَعْظِيمِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ بِالـمَحَبَّةِ وَأَنْوَاعِ التَّعْظِيمِ، وَذَلِكَ طَبْعًا بَعْدَ مَحَبَّةِ الخَالِقِ تَعَالَى.

وَقَدْ ذَكَرَ التَّارِيخُ مِنْ تَعْظِيمِهِمْ لِـمَقَامِ النُّبُوَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ إِعْظَامِهِمْ وَحُبِّهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَهُنَاكَ نُتَفٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ لَا شَيْءَ عِنْدَهُمْ أَفْضَلُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ تَعْظِيمِ الخَالِقِ.

مِنْهَا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سُئِلَ: كَيْفَ كَانَ حُبُّكُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ: **«كَانَ وَاللَّـهِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا وَآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، وَمِنَ الـمَاءِ البَارِدِ عَلَى الظَّمَإِ»**[1]. وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **«مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا»**[2].

---

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص 385) طبعة دار الفكر 2002م

(2) رواه الحافظ عز الدين ابن الأثير الجزري في« أسد الغابة في معرفة الصحابة» (ج2/ ص358) طبعة دار الكتب العلمية.

وَجَاءَ فِي «**الشِّفَا**» لِلقَاضِي عِيَاض: قَالَ التُّجِيبِيُّ: «**كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ بَعْدَهُ لَا يَذْكُرُونَهُ إِلَّا خَشَعُوا وَاقْشَعَرَّتْ جُلُودُهُمْ وَبَكَوْا**»[1].

وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْهُمْ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَحَبَّةً لَهُ وَشَوْقًا إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ الـمُسْلِمُونَ فِي القُرُونِ الأُولَى، لَمْ يَضْعُفْ إِعْظَامُهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ أَسْبَابٍ، فَمَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي التَّعْظِيمِ فِي حَالٍ مَحْمُودَةٍ.

وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ فَتَرَتِ الهِمَمُ، فَاحْتِيجَ إِلَى إِيقَاظِهَا، وَهَذَا بَعْدَ القَرْنِ الثَّالِثِ الهِجْرِيِّ، كَمَا أَفَادَهُ الحَافِظُ «**ابْنُ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيُّ**» (ت852هـ) الإِمَامُ الشَّهِيرُ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ لَـمَّا سُئِلَ عَنْ عَمَلِ الـمَوْلِدِ فَأَجَابَ: «**أَصْلُ عَمَلِ الـمَوْلِدِ بِدْعَةٌ**[2] **لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ**

---

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص 388) طبعة دار الفكر 2002م

(2) أي بدعةٌ بالمعنى اللُّغوي: وهي كلّ شيء عُمل عَلَى غير مثال سابق. وما هو كذلك تعتريه الأحكام الشرعية الخمسة، وقد وضح ذلك الحافظ محيي الدين النووي في شرح قول النبي ﷺ: «**وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**» فقال: هذا عامٌّ مخصوص، والمراد: غالِب البدع. قال أهل اللُّغة: هي كلّ شيء عمل عَلَى غير مثال سابق. قال العلماء: البدعة خمسة أقسام: واجبة، ومندوبة، ومحرَّمة، ومكروهة، ومباحة. فمن الواجبة: نظم أدلَّة المتكلّمين للرَّدّ عَلَى الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك. ومن المندوبة: تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والرّبط وغير ذلك. ومن المباح: التّبسط في ألوان الأطعمة وغير ذلك .والحرام والمكروه ظاهران. (المنهاج، ج1/ ص 154، 155)

الصَّالِحِ مِنَ القُرُونِ الثَّلَاثِ، فَمَنْ تَحَرَّى فِي عَمَلِهِ الـمَحَاسِنَ، وَتَجَنَّبَ ضِدَّهَا، كَانَ بِدْعَةً حَسَنَةً[1]، وَإِلَّا فَلَا»[2].

إِنَّمَا أَجَابَ الحَافِظُ «**ابْنُ حَجَرٍ**» بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَتْ تَقَعُ فِي بَعْضِ الـمَوَالِدِ أُمُورٌ مُنْكَرَةٌ، مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَارَعَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ بِمَا لَا يَجُوزُ.

وَقَدْ فَصَّلَ الكَلَامَ فِي هَذَا «**العَبْدَرِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ**» الشَّهِيرُ بِـ«**ابْنِ الحَاجِّ**» (ت737هـ) فِيمَا هُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الأَعْمَالِ فِي الـمَوْلِدِ وَمَا هُوَ ضِدُّهَا فِي كِتَابِهِ الشَّهِيرِ «**الـمَدْخَلُ**»[3]، وَهُوَ مِنَ الكُتُبِ الـمُفِيدَةِ جِدًّا.

---

(1) وقد اتفق كبار علماء الأمة على تقسيم البدع لغةً في نظر الشرع إلى حسنة وقبيحة، قال الإمام شهاب الدين أبو شامة: الحوادث منقسمةٌ إلى بدع مستحسنة، وبدع مستقبحة. قال حرملة بن يحيى: سمعتُ الشافعي ﵁ يقول: البدعة بدعتان: بدعةٌ محمودة، وبدعة مذمومةٌ، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السُّنة فهو مذمومٌ. (الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص 93 طبعة دار الراية. وقال الإمام ابن الأثير: البدعة بِدْعَتَان: بدعة هُدًى، وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أَمَر اللهّ به ورسوله ﷺ فهو في حَيّز الذّم والإنكار، وما كان واقعا تحت عُموم ما نَدب اللهُ إليه وحَضَّ عليه اللهُ أو رسوله فهو في حيز المدح. (النهاية فى غريب الحديث، ج1/ ص106-107)

(2) نقل الحافظ السيوطي كلام الحافظ ابن حجر في «حسن المقصد في عمل المولد» (ص 63) طبعة دار الكتب العلمية.

(3) وبعض الناس يتعمّد بَتْرَ كلام «ابن الحاج» في المدخل، ويوردون كلامه في النهي عن الاحتفال بالمولد بغير ما لا يجوز شرعا كاستعمال آلات الطرب والمغاني، وأنه لا يجوز تعظيم النبي

وَقَدِ اعْتَنَى حِينَ فَتَرَت الهِمَمُ عَنْ تَعْظِيمِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ الصَّالِحُونَ مِنَ العُلَمَاءِ وَغَيْرُهُمْ بِالاحْتِفَالِ بِالـمَوْلِدِ النَّبِوِيِّ الشَّرِيفِ، وَاشْتَهَرَ بِإِقَامَةِ احْتِفَالَاتٍ بَاهِرَةٍ أَحَدُ الأُمَرَاءِ الَّذِينَ خَدَمُوا الإِسْلَامَ خِدْمَةً لَا تُنْكَرُ، وَهُوَ: «**كُوكُبُورِي بْنُ عَلِيِّ بْنِ بُكْتِكِين مُظَفَّرُ الدِّينِ**»[1] صَاحِبُ إِرْبِل،

ﷺ بذلك الفعل، ويوهمون أنه جعل أصل الاحتفال ممنوعاً، وهذا تحريف منهم، ولا يذكرون قوله مستدركاً على أصحاب الآلات والمغاني: آلة الطرب والسماع أيُّ نسبةٍ بينها وبين تعظيم هذا الشهر الكريم الذي منّ الله تعالى علينا فيه بسيد الأولين والآخرين؟! فكان يجب أن يزاد فيه من العبادات والخير شكراً للمولى سبحانه وتعالى على ما أولانا من هذه النعم العظيمة، وإن كان النبي ﷺ لم يزد فيه على غيره من الشهور شيئا من العبادات، وما ذلك إلا لرحمته ﷺ بأمته ورفقه بهم لأنه عليه الصلاة والسلام كان يترك العمل خشية أن يفرض على أمته رحمةً منه بهم. (المدخل، ج2/ ص 2) ثم قال ابن الحاج بعد بيان فضل شهر ويوم مولده ﷺ: ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق به، وذلك بالاتباع له ﷺ في كونه عليه الصلاة والسلام كان يخصّ الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البرّ فيها وكثرة الخيرات، ألا ترى إلى قول البخاري رحمه الله تعالى: «كان النبيُّ ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان»؟! فنمتثل تعظيم الأوقات الفاضلة بما امتثله عليه الصلاة والسلام على قدر استطاعتنا. (المدخل، ج2/ ص3) طبعة مكتبة دار التراث.

(1) هو أول من احتفل بالمولد النبوي الشريف من أهل السُّنة. و«كوكبوري» اسم تركي، معناه بالعربي: ذئب أزرق.قال ابن خلكان في حقه: كان كريم الأخلاق، كثير التواضع، حسن العقيدة، سالم البطانة، شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة. (وفيات الأعيان، ج4/ ص119) ومقصوده بعقيدة أهل السنة والجماعة ما كان عليه أيضا القائد صلاح الدين الأيوبي وهي عقيدة أهل السنة الأشاعرة. وقد كان مظفر الدين بطلا من أبطال المسلمين، فقد وصفه الحافظ ابن كثير في تاريخه بأنه كان «شهما، شجاعا، فاتكا، بطلا، عاقلا، عالما، عادلا، رحمه الله وأكرم مثواه». وقد حكى أنه

كَانَ مَحْظُوظًا عِنْدَ «**صَلَاحِ الدِّينِ الأَيُّوبِيِّ**»، وَزَوَّجَهُ أُخْتَهُ، وَشَهِدَ مَعَ «**صَلَاحِ الدِّينِ**» مَوَاقِفَ حَرْبِيَّةً كَثِيرَةً، وَأَبَانَ فِيهَا عَنْ نَجْدَةٍ[1]، وَثَبَتَ فِي مَوَاضِعَ لَمْ يَثْبُتْ بِهَا غَيْرُهُ.

قَالَ «**ابْنُ خَلِّكَان**»: «لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا وَقْعَةُ حطِّينَ لَكَفَتْهُ»[2]، وَهَذِهِ الوَاقِعَةُ حُصِدَتْ بِهَا شَوْكَةُ الصَّلِيبِيِّينَ، وَنَتَجَ عَنْهَا **فَتْحُ بَيْتِ الـمَقْدِسِ** وَاسْتِخْلَاصُهُ مِنَ الصَّلِيبِيِّينَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَضَاعَ كَمَا ضَاعَتِ الأَنْدَلُسْ.

فَـ«**مُظَفَّرُ الدِّينِ**» مِنْ قُوَّادِ الإِسْلَامِ الَّذِينَ أَعَادُوا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الشَّامِ مَا فَقَدُوهُ مِنْ أَرْضِهَا، وَيَكْفِي إِعَادَةُ بَيْتِ الـمَقْدِسِ الَّتِي ذَهَبَ بِآلَافِ أَرْوَاحِ الـمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِهِ حِينَ الاسْتِيلَاءِ الصَّلِيبِيِّ الغَاشِمِ.

لما كانت زوجته معه على عكا قالت: كان قميصه لا يساوي خمسة دراهم، فعاتبته بذلك فقال: لبسي ثوبا بخمسة وأتصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوبا مثمنا وأدع الفقير المسكين. وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وعلى دار الضيافة في كل سنة مائة ألف دينار. وعلى الحرمين والمياه بدرب الحجاز ثلاثين ألف دينار سوى صدقات السر، رحمه الله تعالى. (البداية والنهايةج13/ ص160)

(1) أي: شجاعة.

(2) وفيات الأعيان (ج4/ ص115) دار صادر.

فَهَذَا القَائِدُ الـمُظَفَّرُ فِي دِفَاعِهِ عَنِ الإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ عِنَايَةً بِالاحْتِفَالِ بِمَوْلِدِهِ ﷺ كَمَا قَالَ «**ابْنُ خَلِّكَان**»: «وَأَمَّا احْتِفَالُهُ بِمَوْلِدِ الرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّ الوَصْفَ يَقْصُرُ عَنِ الإِحَاطَةِ بِهِ، لَكِنْ نَذْكُرُ طَرَفًا مِنْهُ...»[1].

وَقَدْ نَوَّهَ «**ابْنُ خَلِّكَان**» بِاحْتِفَالَاتِهِ بِالـمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الكَرِيمِ تَنْوِيهًا يَدُلُّ عَلَى تَعَلُّقِ هَذَا القَائِدِ الـمُظَفَّرِ وَالـمُجَاهِدِ الصَّابِرِ، فَالاعْتِنَاءُ بِالـمَوْلِدِ لَمْ يَبْتَدِئْ بِالبَطَّالِينَ كَمَا يَقُولُ «**الفَاكِهَانِيُّ**»، بَلِ ابْتَدَأَ بِعُظَمَاءِ رِجَالِ الإِسْلَامِ[2].

---

(1) وفيات الأعيان (ج4/ ص117) دار صادر.

(2) ويشير إلى هذا قول الإمام أبي شامة: البدعُ الحسنة: متفق على جواز فعلها والاستحباب لها، ورجاء الثواب لمن حَسُنَت نيته فيها، وهي كل مُبتَدع موافق لقواعد الشريعة، غير مخالف لشيء منها، ولا يلزم من فعله محذور شرعيٌّ. ومن أحسن ما ابتدع في زماننا من هذا القبيل ما كان يُفعَلُ في مدينة إربل ـ جبرها الله تعالى ـ كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبي ﷺ من الصدقات والمعروف، وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مُشعِرٌ بمحبة النبي ﷺ وتعظيمه وجلالته في قلب فاعله، وشكر الله تعالى على ما منّ به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين ﷺ وعلى جميع المرسلين. (الباعث، ص 96)

وَقَدْ ثَارَ حَوْلَ عَمَلِ الـمَوْلِدِ «**الفَاكِهَانِيُّ**» الـمَالِكِيُّ[1] مُدَّعِيًا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَهُوَ بِدْعَةٌ لَا تَجُوزُ.

وَقَدْ أَلَّفَ «**السّيُوطِيُّ**» كِتَابًا فِي رَدِّ كَلَامِهِ سَمَّاهُ «**حُسْنُ الـمَقْصَدِ فِي عَمَلِ الـمَوْلِدِ**»، فَنَّدَ فِيهِ مَا ادَّعَاهُ «**الفَاكِهَانِيُّ**» مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ نَصٌّ يُجِيزُ الاحْتِفَالَ بِالـمَوْلِدِ بِمَا أَجَابَ بِهِ شَيْخُ الإِسْلَامِ الحَافِظُ «**ابْنُ حَجَرٍ**» بِأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَهُ تَخْرِيجُ عَمَلِ الـمَوْلِدِ عَلَى أَصْلٍ مِنَ السُّنَّةِ، وَهُوَ مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدِمَ الـمَدِينَةَ، فَوَجَدَ اليَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاء، فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا: هُوَ يَوْمٌ أَغْرَقَ اللهُ فِيهِ فِرْعَوْنَ وَنَجَّى مُوسَى، فَنَحْنُ نَصُومُهُ شُكْرًا لِلَّـهِ تَعَالَى.

فَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الحَدِيثِ فِعْلُ الشُّكْرِ لِلَّـهِ تَعَالَى عَلَى مَا مَنَّ بِهِ فِي يَوْمٍ مُعَيَّنٍ، مِنْ إِسْدَاءِ نِعْمَةٍ، أَوْ دَفْعِ نِقْمَةٍ، وَيُعَادُ ذَلِكَ فِي نَظِيرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللَّـهَ تَعَالَى عَلَى النِّعْمَةِ

---

(1) ومن أئمة أهل السنة الأشاعرة، وله عقيدة سُنِّية أشعرية ما تزال مخطوطةً، والعجب من المجسمة يحتفلون برسالته «المورد» ويعرِضون عن عقيدته السُّنية الصافية، ويعتقدون ويروِّجون نقيضها من التجسيم والتشبيه، وكان الواجب عليهم اتباع الإمام تاج الدين الفاكهاني فيما لا يجوز الخلاف فيه من أصول الاعتقاد، وأما الاحتفال بالمولد فعمَل فرعيٌّ، والحق فيه مع جمهور العلماء والفقهاء في تفصيل حكم الاحتفال به بحسب ما يقع فيه من الأعمال.

الكُبْرَى، وَهِيَ مِيلَادُ أَفْضَلِ الـمَخْلُوقَاتِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِي يَوْمِ مَوْلِدِهِ ﷺ[1].

وَزَادَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ «ابْنُ حَجَرٍ» «السّيُوطِيُّ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَقَّ عَنْ نَفْسِهِ[2]، وَالعَقِيقَةُ مَا يُذْبَحُ فِي سَابعِ الـمَوْلُودِ، فَلَمَّا عَقَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الاحْتِفَالِ بِالـمَوْلِدِ.

وَأَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ مَا يُؤَيِّدُ مَا تَقَدَّمَ عَنِ «ابْنِ حَجَرٍ» وَ«السّيُوطِيِّ» أَنَّ اللَّـهَ أَوْجَبَ عَلَيْنَا مَحَبَّةَ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ مَحَبَّتِهِ جَلَّ وَعَلَا،

---

(1) راجع حسن المقصد للحافظ السيوطي (ص 63) ويتعلل بعض الناهين عن الاحتفال بمولد سيد الكائنات ﷺ بأن شهر ولادته ﷺ ـ وهو ربيع الأول ـ هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه. والجواب عن هذه الشُّبهة أن يقال: إن ولادته ﷺ أعظم النعم علينا، ووفاته أعظم المصائب لنا، والشريعةُ حثت على إظهار شكر النعم والصبر والسكون والكتم عند المصائب، وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة وهي إظهار شكر وفرح بالمولود، ولم يأمر عند الموت بذبح ولا بغيره، بل نهى عن النياحة والجزع. وظاهر قواعد الشريعة يحسّن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته ﷺ دون إظهار الحزن فيه بوفاته.وهكذا كل من يحاول النهي عن الاحتفال بالمولد الشريف مدعيا اتباع الشريعة يتبين عند التحقيق أنه مخالف لأدلة الشريعة ولمقاصد الشريعة.

(2) عن أنس أن النبي ﷺ عقّ عن نفسه بعدما بعث نبيا. قال الحافظ الهيتمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط (رقم 994) ورجال الطبراني رجال الصحيح خلا الهيثم بن جميل وهو ثقة. (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج4/ ص 65) دار الكتب العلمية.

وَذَلِكَ يُوجِبُ عَلَيْنَا تَعْظِيمَ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ ذَلِكَ تَعْظِيمُ يَوْمِ مَوْلِدِهِ بِالاحْتِفَالِ بِهِ بِمَا يُجِيزُهُ الشَّرْعُ الكَرِيمُ.

وَقَدِ اعْتَنَى العُلَمَاءُ بِتَآلِيفَ فِيهَا تَارِيخُ مَوْلِدِهِ ﷺ، مِنْ ذَلِكَ مَا أَلَّفَهُ الحَافِظُ الأَدِيبُ عُمَرُ بْنُ الحَسَنِ الشَّهِيرُ بِـ«**ابْنِ دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ**»[1] الأَنْدَلُسِيِّ ثُمَّ القَاهِرِيِّ تُوُفِّيَ (633هـ) فِي الـمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ وَهُوَ «**التَّنْوِيرُ فِي مَوْلِدِ السِّرَاجِ الـمُنِيرِ**»، أَلَّفَهُ بِاسْمِ مُظَفَّرِ الدِّينِ مَلِكِ إِرْبِل، وَقَرَأَهُ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ.

وَاسْتَرْسَلَ العُلَمَاءُ فِي التَّأْلِيفِ، تَعْرِيفًا بِالـمَقَامِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الاحْتِفَالَ بِالـمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ مُتَأَكِّدٌ تَجِبُ العِنَايَةُ بِهِ وَتَقْدِيمُهُ عَلَى غَيْرِهِ.

وَكَمَا اشْتَهَرَ صَاحِبُ إِرْبِل بِالعِنَايَةِ الفَائِقَةِ بِالمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ، كَذَلِكَ فِي الـمَغْرِبِ اعْتَنَى بِهِ أَيَّمَا اعْتِنَاءٍ وَتَوَسَّعَ فِي الاحْتِفَالِ بِهِ الأَمِيرُ «**أَبُو حَمو مُوسَى بْنُ يُوسُفَ**» **مُجَدِّدُ** دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الوَادِ فِي تِلِمْسَانَ الَّذِي عَاشَ

---

(1) قال ابن خلكان في ترجمته: كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، قدم من المغرب فدخل الشام والعراق، واجتاز بإربل سنة أربع وستمائة فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعتني بالمولد النبوي فعمل له كتاب «التنوير في مولد البشير النذير»، وقرأه عليه بنفسه. (راجع الأعلام للزركلي، ج5/ ص44)

مُدَّةً بِتُونِسَ (ت791هـ)، وَقَدْ خَصَّهُ «**يَحْيَى بْنُ خَلْدُون**» بِتَارِيخِهِ فِي الجُزْءِ الثَّانِي مِنْ «**بُغْيَةِ الرُّوَّادِ فِي ذِكْرِ الـمُلُوكِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الوَادِ**»، وَقَدْ أَفَاضَ يَحْيَى بْنُ خَلْدُونَ أَخُو «**عَبْدِ الرَّحْمَنِ**» فِي ذِكْرِ احْتِفَالِهِ بِمَوْلِدِ النَّبِيِّ، وَمَا أُنْشِدَ فِيهِ مِنْ قَصَائِدَ، وَمَا جُمِعَ فِيهِ مِنْ ذَوَاتٍ، تَعَلُّقًا بِالـمَقَامِ النَّبَوِيِّ، زَادَهُ اللهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيماً.

وَقَدْ عَمَّ الأَصْقَاعَ الإِسْلَامِيَّةَ الاحْتِفَالُ بِالـمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ فِي صُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي جِهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَقَدْ أَشَادَ بِالاحْتِفَالِ بِالـمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ بِتُونِسَ الأَمِيرُ «**أَحْمَدُ بْنُ مُصْطَفَى بَاشَا بَاي**»، حَيْثُ خَصَّهُ بِمَوْكِبٍ عَظِيمٍ، وَقَدْ أَشَارَ الـمُؤَرِّخُ «**ابْنُ أَبِي ضِيَافٍ**» إِلَى تَفْخِيمِ الأَمِيرِ «**أَحْمَدَ بَاي**» الاحْتِفَالَ بِالـمَوْلِدِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ.

ذَكَرَ «**ابْنُ أَبِي ضِيَافٍ**» فِي الجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ تَارِيخِهِ «**إِتْحَافُ أَهْلِ الزَّمَانِ**»: وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ (1257هـ/ 1841م) احْتَفَلَ بِالـمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ لِـمَا طُبِعَ عَلَيْهِ مِنْ عَظِيمِ الـمَحَبَّةِ فِي الـمُصْطَفَى وَآلِ بَيْتِهِ، وَكَانَ يَوْمُ الـمَوْلِدِ بِحَاضِرَتِنَا كَمَوَاسِمِ السَّنَةِ غَيْرَ العِيدَيْنِ، وَيَزِيدُ بِاجْتِمَاعِ الصِّبْيَانِ فِي الـمَكَاتِبِ الـمَفْرُوشَةِ، يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاقْتَضَى نَظَرُهُ أَنَّ شَأْنَ الـمَوْلِدِ يَجِبُ لَهُ مِنَ السُّرُورِ

وَالفَخَامَةِ مَا لَا يَجِبُ لِغَيْرِهِ، وَأَمَرَ بِتَنْوِيرِ سَائِرِ الـمَآذِنِ بِالحَاضِرَةِ لَيْلَةَ الـمَوْلِدِ وَلَيْلَتَيْنِ بَعْدَهُ[1].

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ[2] كَيْفِيَّةَ الاحْتِفَالِ بِيَوْمِ الـمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ بِحُضُورِ الأَمِيرِ وَالأُمَرَاءِ وَأَصْنَافَ الجُنُودِ مِنْ دَارِ الـمَمْلَكَةِ بِبَطْحَاءِ القَصَبَةِ، وَيَأْتِي البَايُ رَاجِلًا إِلَى الجَامِعِ الأَعْظَمِ جَامِعِ الزَّيْتُونَةِ الَّذِي يَجْتَمِعُ بِهِ العُلَمَاءُ وَأَكْثَرِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ تُونِسَ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِي إِلَى الـمِحْرَابِ، فَيَجْلِسُ حِذْوَ إِمَامِ الجَامِعِ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ الشَّيْخَ «**إِبْرَاهِيمَ الرِّيَاحِيَّ**»، وَيَقْرَأُ مَا اخْتَصَرَهُ مِنْ مَوْلِدِ الإِمَامِ «**البَكْرِيِّ**»، وَالجَامِعُ يَعُجُّ بِالحَاضِرِينَ[3].

---

(1) إتحاف أهل الزمان (ج4/ ص53) الدار العربية للكتاب.

(2) إتحاف أهل الزمان (ج4/ ص53) الدار العربية للكتاب.

(3) وذكر العلامة الفقيه ابن أبي دينار في كتابه الممتنع «المؤنس في أخبار إفريقية وتونس» مشهدا من المشاهد الجميلة التي كانت عليها تونس ـ بلد العلم والعلماء والصالحين ـ في مناسبة المولد النبوي الشريف فقال: «ومن أعياد أهل تونس المشهورة ومواسمهم المذكورة ومساعيهم المشكورة: تعظيمهم ليلة المولد الشريف، وذلك لأجل محبّتهم لمن ولد فيه وهو سيد الكائنات ﷺ. وأول من اعتنى بتعظيمه في البلاد الغربية وأظهر فيه شعائر الولادة المحمدية السلطان أبو عنان المريني شكر الله سَعْيه، ثم اقتدى به بنو أبي حفص في الديار التونسية، وأولهم أمير المؤمنين أبو فارس عبد العزيز، وكان في أول المئة الثامنة، واحتفل بتشييد شعائر هذا اليوم المبارك، جعل الله ثوابه في صحائفه، وأظله في ظل النجاة يوم لا ظل إلا ظل عرشه. واقتدت به بنو أبي حفص من

وَمِمَّا الْتُزِمَ فِي يَوْمِ الـمَوْلِدِ قِرَاءَةُ قَصِيدَةِ «**الهَمْزِيَّةِ**» لِلْإِمَامِ «**البُوصِيرِيِّ**» الـمُسَمَّاةُ بِـ«**أم القرى فِي مَدْحِ خَيْرِ الْوَرَى**»[1] مِنْ جَمِيعِ الحَاضِرِينَ، وَيَنْتَهِي الـمَوْكِبُ بِالدُّعَاءِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى القِبْلَةِ.

وَلَا زَالَ هَذَا الاحْتِفَالُ إِلَى اليَوْمِ يَجْرِي عَلَى السَّنَنِ الـمَذْكُورَةِ، فِي رَوْعَةٍ وَتَوَجُّهٍ وَاحْتِفَاءٍ بِمَوْلِدِهِ الكَرِيمِ، أَفَاضَ اللهُ عَلَيْهِ دَائِمَ الصَّلَوَاتِ وَنَوَامِي البَرَكَاتِ.

تمت

بعده، ولم تزل عادتهم مستمرة على تعظيمه عاملهم الله بنياتهم، فإنهم يعظمون ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وينشدون الأشعار في المكاتب ويحتفلون لتلك الليلة ويزينون المكاتب ويجعلون أماكن تقرأ فيها التخاميس وتنشد الأبياء الشعرية التي تضمنت مدائح خير البرية، وتوقد القناديل، وتسرج الشموع، وتكون تلك الليلة أشهر ليالي سنتهم، ويصنعون الأطعمة الفاخرة احتسابا لله، وتكون ليلة عظمى بدار نقيب الأشراف يحضرها الأجلة من الناس والقراء والفقهاء، ويقع فيها السماع والأناشيد بالمدائح النبوية، ويهرع الناس إليها من أطراف البلد. (راجع المؤنس، ص 290)

(1) وقد اعتنى بها وحققها وعلق عليها ونشرها الشيخ الشاذلي النيفر رحمه الله تعالى.